

آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي

بمّتلّم
الدكتور على عبدالواحد واني

وكيل كلية الآداب ورئيس قسم الفلسفة والاجتماع بجامعة القاهرة سابقاً

مقدمة

جرت العادة في الغالب أن يكتسى الشخص باسم ابنه الأكبر ، وأن المشهور من سيرة الفارابي أنه لم يتزوج ولم ينجب أولاداً .

والراجع أن السبب في تلقيبه بالمعلم الثاني يرجع إلى مكانته الكبيرة في الفلسفة ، ووفرة إنتاجه فيها ، ومتابعته لدراسات أرسطو ، وشرحه لنظرياته ، حتى لقد اعتبر أكبر الفلاسفة من بعده ، وأعظم ناشر وموضح لآرائه ؛ ولما كان أرسطو قد اشتهر بلقب « المعلم الأول » ؛ لذلك أطلق على خليفته في عالم الفلسفة وناشر آرائه لقب « المعلم الثاني » .

وذهب حاجي خليفة في كتابه « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » إلى أن تلقيب الفارابي بالمعلم الثاني راجع إلى ترجمته كتاباً لأرسطو أطلق عليه اسم « التعليم الثاني » . وهذا الرأي ظاهر الضعف لأن ترجمة كتاب لا تعطى للمترجم لقباً مشتقاً من اسم الكتاب ، ولأن كتاب « التعليم الثاني » ، حتى على افتراض وجوده ، لم يكن معروفاً للناس ، فكيف يلقب الفارابي بلقب مشتق من اسم كتاب غير معروف ؟ ! - وذكر مولانا لطفى في حاشيته على المطالع رأياً ثالثاً في سبب تلقيب الفارابي بالمعلم الثاني ،

سنعرض في الفصل الأول من بحثنا هذا سيرة تحليلية للفارابي صاحب هذا الكتاب ، تبين بإيجاز عن تاريخ حياته ومكانته وماله من آثار ومؤلفات . ثم ندرس في الفصل الثاني كتابه هذا ، فنلخص محتوياته وما انتهى إليه من نظريات ، ونشير إلى الأسس الفلسفية والاجتماعية التي تعتمد عليها نظرياته ، وإلى أثره في تراث الإنسانية ، مستشهدين في ذلك ببعض نصوص من هذا الكتاب توضح ما تقرره ، وتكشف عن أسلوب المؤلف وطريقته في التفكير .

الفصل الأول

سيرة تحليلية للفارابي

- ١ -

اسمه وكنيته ولقبه وشهرته ومسقط رأسه

هو أبو نصر ، محمد ، المعلم الثاني ، الشهير بالفارابي . فاسمه محمد ، وكنيته أبو نصر ، ولقبه المعلم الثاني ، وشهرته الفارابي . ولا ندرى كيف كُنِيَ بأبي نصر ، مع أنه قد

لسنى ٨٧٢ ، ٨٧٣ ميلادية) . ويستنتج ذلك استنتاجاً مما ذكره المؤرخون في وفاته ؛ فقد ذكر ابن خلكان أنه توفي سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ - ٩٥١ م) وقد ناهز ثمانين سنة .

- ٢ -

سلسلة نسبه وأسرته

اختلف في سلسلة نسب الفارابي . فذهب ابن أبي أصيبعة في كتابه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » إلى أنه محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان . وذهب القفطي في كتابه « أخبار الحكماء » والبيهقي في كتابه المخطوط « تاريخ الحكماء » (توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية) إلى أنه محمد بن محمد بن طرخان . وذهب ابن النديم في كتابه (الفهرست) إلى أنه محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن طرخان . وذهب القاضي صاعد بن احمد الأندلسي (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ الموافقة لسنة ١٠٧٠ ميلادية) في كتابه « طبقات الأئمة » إلى أنه محمد بن محمد بن نصر . ويقول صاعد في موضع آخر من كتابه هذا إنه محمد بن نصر .

ومع أن معظم المترجمين للفارابي يذهبون إلى أنه تركي الأصل ، فإن ابن أبي أصيبعة قد ذكر في كتابه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » أن أباه « كان قائداً جيش و كان فارسي المنتسب » . - ولا سبيل إلى تحقيق جنسه مع هذا التضارب ولتاخه البلاد التركية للبلاد الفارسية واشتراك الأعلام فيهما . ولكن مسقط رأسه كان ولا يزال من مناطق بلاد التركستان وهي بلاد ينتمي معظم سكانها إلى الشعب التركي .

- ٣ -

تاريخ حياته وتلذذته ودراساته

لا نكاد نعرف شيئاً يقينياً عن طفولته الأولى : أما فيما يتعلق بالمرحلة التالية فيظهر من سيرته أنه بعد

فروى أن المنصور بن نوح الساماني قد جمع ما ترجم إلى العربية من اليونانية في عهد المأمون من مؤلفات فلسفية وطلب إلى الفارابي أن يستخلص منها ترجمة صحيحة محررة ، فاستجاب لما طلبه إليه ، وسمى كتابه « التعليم الثاني » ، أي إنه تحرير ثانٍ منقح للتراجم السابقة ، وأنه من أجل ذلك لقب بالمعلم الثاني . وفي هذه الرواية خطأ تاريخي واضح ، لأن المنصور بن نوح الساماني قد ولى أمر خراسان سنة ٣٤٣ هـ أي بعد موت الفارابي بنحو أربع سنين .

واشتهر بالفارابي نسبة إلى مسقط رأسه « فاراب » وتسمى كذلك « باراب » . وهي منطقة كبيرة وراء نهر جيحون (أموداريا) وسيحون (سرداريا) ، وتقع على جانب الفرع الأكبر لنهر سيحون في طرف بلاد تركستان . وتطلق كذلك فاراب على قسبة هذه الولاية . وقد حلت هذه المدينة محل مدينة « قَدَر » القديمة ، ثم حلت محلها مدينة « أطرار » أو « أترار » . - والراجح أن الفارابي قد ولد بمدينة « وسيج » على الشاطئ الغربي من سيحون (سردارياً) ، وأنه قد نسب إلى ولاية فاراب التابعة لها مدينة وسيج . وهذا هو ما ذهب إليه ابن حوقل إذ يقول إن « على الشاطئ الغربي من سرداريا كانت توجد مدينة وسيج التي ولد بها الفيلسوف أبو نصر الفارابي » . ويذهب فريق آخر من المؤرخين ومنهم القفطي وابن أبي أصيبعة وابن خلكان إلى أنه قد ولد بمدينة « فاراب » نفسها .

وقد اشتهر بلقب الفارابي علماء آخرون منهم صاحب معجم « الصحاح » (هو أبو نصر حماد الجوهري الفارابي ٣٢٣ - ٣٩٣ هـ صاحب معجم « تاج اللغة و صحاح العربية » المشهور بالصحاح) . ولكن إذا أطلقت كلمة الفارابي انصرفت إلى الفيلسوف الذي نترجم له .

ولانعرف عن طريق يقيني السنة التي ولد فيها الفارابي . والراجح أنه ولد حوالي سنة ٢٥٩ هـ (الموافقة

بلوغه دور التعلم قد عكف في مسقط رأسه على دراسة طائفة من مواد العلوم والرياضة والآداب والفلسفة واللغات وعلى الأخص التركية وهي لغته الأصلية والفارسية واليونانية والعربية .

ثم خرج من بلده حوالى سنة ٣١٠ هـ ، وهو يومئذ يناهز الخمسين ، قاصداً العراق ، حيث أتم دراساته فيما بدأ به في مسقط رأسه وأضاف إليه مواد أخرى كثيرة . فدرس في حرّان الفلسفة والمنطق والطب على الطبيب المنطقي المسيحي يوحنا بن حيلان ؛ ودرس في بغداد الفلسفة والمنطق على أبي بشر متى بن يونس ، وهو مسيحي نسطوري كان حينئذ من أشهر مترجمي الكتب اليونانية ومن أشهر الباحثين في المنطق ؛ ودرس في بغداد كذلك العلوم اللسانية العربية على ابن السراج ؛ وأتيح له فيها أيضاً دراسة الموسيقى وإتمام دراساته في اللغات والطب والعلوم والرياضيات . ولا غرابة أن يتلمذ في هذه السن المتقدمة ، فقد كان هذا دأب العلماء في هذه العصور ، يطلبون العلم من المهدي إلى الحد .

وكان الفارابي مولعاً بالأسفار في طلب العلم ونشره والإحاطة بشئون الجماعات . فانتقل من العراق إلى الشام حوالى سنة ٣٣٠ هـ حيث اتصل بسيف الدولة بن حمدان الذي عرف له فضله ، وأكرم وفادته ، وعاش في كنفه منقطعاً إلى التعليم والتأليف . وكان في أثناء إقامته بالشام ينتقل بين مدينتها وخاصة بين حلب عاصمة الحمدانيين ودمشق التي كانت تدخل في حوزتهم تارة وتخرج أخرى . وقد سافر مرة من الشام إلى مصر ، وكان ذلك على الراجح سنة ٣٣٨ هـ ثم رجع منها إلى دمشق حيث توفي سنة ٣٣٩ هـ .

وقد آثر الفارابي حياة الزهد والتقشف ، فلم

يتزوج ، ولم يقتن مالا ، ولم يشأ أن يتناول من سيف الدولة إلا أربعة دراهم فضية في اليوم - كما يذكر ذلك كثير من الرواة - ينفقها فيما يحتاج إليه من ضروري العيش . وقد اكتفى بذلك قناعة منه ؛ وكان في استطاعته وهو الأثير عند الملك الجواد سيف الدولة بن حمدان أن يكتنز الذهب والفضة ويقتنى الضياع . ويروى أنه قد بلغ به التقشف أنه كان يسهر في الليل للمطالعة والتصنيف مستضيئاً بقنديل (الحارس) ، لأنه لم يكن يملك قنديلاً خاصاً ، وأنه قد بقي على ذلك أمداً طويلاً .

وكان يؤثر العزلة والوحدة ليخلو إلى التأمل والتفكير . وكان طول مدة إقامته بدمشق ، كما يقول ابن خلكان في « وفيات الأعيان » ، يقضى معظم أوقاته في البساتين وعلى شواطئ الأنهار « فلا يكون إلا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض ، حيث يؤلف بحوثه ويقصد إليه تلاميذه وزملاؤه ومساعدوه » .

هذا ، وقد جاء في ترجمة البيهقي (ظهير الدين البيهقي) للفارابي في كتابه المخطوط « تاريخ حكماء الإسلام » خلط تاريخي غريب . فمن ذلك ما ذكره عن صلة الفارابي بالصاحب بن عباد إذ يقول : « إن الصاحب ابن عباد بعث إلى أبي نصر هدايا وصلات واستدعاه إليه ، وأبو نصر يتعنف ويتقبض ولا يقبل شيئاً ، حتى ضرب الدهر ضرباته ، ووصل أبو نصر إلى الري ، ودخل مجلس الصاحب متكرراً ... » إلى آخر ما ذكره من رواية تشبه القصة المروية عن اتصال الفارابي بسيف الدولة . ولا أدل على عدم صحة هذه الرواية من أن الصاحب بن عباد قد ولد سنة ٣٢٦ هـ ، أى إنه عند موت الفارابي كان صبيّاً لم يتجاوز ثلاثة عشر عاماً .

مكانته في الفلسفة وفي مختلف

العلوم والآداب والفنون

ليس من شك في أن الفلسفة بمعناها الواسع الذي كان مستخدماً في ذلك العصر ، أي « العلم الجامع الذي يضع أمامنا صورة شاملة للكون » كما يقول دي بور في كتابه « تاريخ الفلسفة في الإسلام » ، كانت أوضح ناحية من نواحي نبوغ الفارابي ، وأبرز مظهر من مظاهر أبعته وتخصسه . فعظم جهوده كانت متجهة إلى تجويد أبعته وبخوبها ، وخاصة ما تعلق منها بالفلسفة اليونانية . وقد استأثرت فلسفة أرسطو ومؤلفاته بقسط كبير من نشاطه ، حتى إن ابن خلكان ليروي في كتابه « وفيات الأعيان » أنه قد وجد « كتاب النفس » لأرسطاطاليس وعليه بخط أبي نصر الفارابي : إني قد قرأت هذا الكتاب مائة مرة ، وأنه قد نقل عنه أنه كان يقول : قرأت « السماع الطبيعي » لأرسطاطاليس الحكيم أربعين مرة وأرى أنني محتاج إلى معاودة قراءته . وقد طبقت شهرته الآفاق في مواد الفلسفة ، واعتبر أكبر الفلاسفة بعد أرسطو وأعظم ناشر وموضح لأرائه ، حتى لقد أطلق عليه اسم « المعلم الثاني » أي خليفة أرسطو الذي اشتهر بلقب « المعلم الأول » كما سبق بيان ذلك .

وهو يعتبر المؤسس الحقيقي للدراسات الفلسفية في العالم العربي ، والمنشئ الأول لما نسميه الآن « الفلسفة الإسلامية » . فقد أشاد بنيانها ، ووضع الأساس لجميع فروعها . ولا نكاد نجد فكرة عند من جاءوا بعده من فلاسفة الإسلام إلا لها أصل لديه . وهو أعرف فلاسفة الإسلام بتاريخ الفلسفة ونظريات الفلاسفة . فهو يتحدث في مؤلفاته حديث الحبير عن المدارس اليونانية وبين الفوارق بينها ويحاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطو .

ولا تقل شهرته في شئون السياسة والاجتماع عن شهرته في شئون الفلسفة . بل إن شئون السياسة والاجتماع كانت من أبرز مسائل الفلسفة من فجر نشأتها على يد سقراط وأفلاطون وأرسطو إلى الوقت الحاضر . ومن أجل ذلك استأثرت هذه الشئون بقسط كبير من نشاط الفارابي ، ويرز في علاج مسائلها ، ووقف عليها طائفة من مؤلفاته ، من أشهرها الكتاب الذي اتخذناه موضوعاً لبحثنا هذا وهو « آراء أهل المدينة الفاضلة » .

وبلغت شهرته في إجادة عدد كبير من اللغات الأجنبية درجة منقطعة النظير ، حتى لقد ذكر كثير من المؤرخين أنه كان يعرف سبعين لغة . وهذا الرقم - وإن كان لا يخلو من كثير من المبالغة - يدل على مبلغ شهرته بين معاصريه بتمكّنه من معظم لغات الكتاب والحديث السائدة في عصره ، وخاصة التركية - وهي لغته الأصلية - والفارسية واليونانية التي يتحدث عنها في بعض كتبه حديث العالم الحبير . وقد وصل في إحاطته باللغة العربية ، وهي ليست لغته الأصلية ، أنه كان ينظم بها الشعر ، وقد روى له شعر كثير تغاب على معظمه أساليب الفلاسفة والرياضيين .

وكان له معرفة واسعة بالطب ، بل ذكر بعض المؤرخين أنه زاول مهنة الطب مزاولة عملية ؛ ولكن الراجح أنه لم يزاولها بالفعل ، وإنما اكتفى بدراسة الفن نفسه والوقوف على مختلف فروعِهِ .

وكان نابغة عصره في الموسيقى وله فيها مؤلف مشهور ومخترعات كثيرة . ويذهب ابن خلكان إلى أنه المخترع للآلة المسماة بالقانون وأنه أول من ركبها هذا التركيب ، ويذهب غيره إلى أنه اخترع آلة أخرى تشبه القانون . ويقول كارادى ثو في « دائرة المعارف الإسلامية » إن دراويش المولوية لا تزال تحتفظ بأغان قديمة منسوبة إليه . ويروي ابن خلكان في هذا الصدد

وقد طبع نحو نصف مؤلفاته التي وصلت إلينا في أصلها العربي في ليدن وحيدر آباد والقاهرة وبيروت وغيرها ، ولا يزال باقيها مخطوطاً .

ومن أهم ما وصل إلينا من مؤلفاته الفلسفية التي يسجل فيها آراءه الخاصة : « كتاب الواحد والوحدة » ؛ و « كتاب الجوهر » ؛ و « كتاب الزمان » ؛ و « كتاب المكان » ؛ و « كتاب الخلاء » ؛ و « مقالة في معاني العقل » (طبعة ليدن سنة ١٨٩٠ وطبعة القاهرة سنة ١٩٢٧ . وقد طبع في بيروت سنة ١٩٣٢ تحت عنوان « رسالة العقل » . - ولعل هذا هو نفس الكتاب الذي يسميه بعض المترجمين للفارابي « كتاب العقل والمعقول » ؛ و « رسالة فيما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة » (طبعة ليدن سنة ١٨٩٠ وطبعة القاهرة سنة ١٩٠٧) ؛ و « عيون المسائل » (طبعة ليدن سنة ١٨٩٠ وطبعة القاهرة سنة ١٩٠٧) ؛ و « فصوص الحكم » (طبعة ليدن سنة ١٨٩٠ وطبعة القاهرة سنة ١٩٠٧ . وقد طبع في حيدر آباد سنة ١٣٤٤ هـ تحت عنوان « كتاب الفصوص ») ؛ و « رسالة في جواب مسائل سئل عنها » (طبعة ليدن سنة ١٨٩٠ وطبعة القاهرة سنة ١٩٠٧ ، وقد طبع في حيدر آباد سنة ١٣٤٤ هـ تحت عنوان « رسالة في مسائل متفرقة ») ؛ و « نكت أبي نصر الفارابي فيما يصح ولا يصح من أحكام النجوم » (طبعة ليدن سنة ١٨٩٠ وطبعة القاهرة سنة ١٩٠٧ . وقد طبع في حيدر آباد سنة ١٣٤٠ هـ تحت عنوان « رسالة في فضيلة العلوم والصناعات ») ؛ و « كتاب التنبيه على سبيل السعادة » (طبعة حيدر آباد سنة ١٣٤٦ هـ) ؛ و « كتاب تحصيل السعادة » (طبعة حيدر آباد سنة ١٣٤٥ هـ) ؛ و « رسالة في إثبات المفارقات » (طبعة حيدر آباد سنة ١٣٤٦ هـ) .

ومن أهم ما وصل إلينا من مصنفاته التي تتمثل في شروح وتعليقات على مؤلفات أرسطو شروحه وتعليقاته

حكائية أدنى إلى الأساطير منها إلى التاريخ ، ولكنها تنبئ عما كان قد اشتهر به الفارابي بين مواطنيه من نبوغ في فنون الموسيقى ، فيذكر أن الفارابي في أحد مجالسه مع سيف الدولة لم يعجبه عزف العازفين الذين عزفوا أمامه ، وأظهر أخطاء فنية كثيرة لكل واحد منهم ، فتعجب سيف الدولة من ذلك وسأله إن كان يحسن هذه الفنون ، فأجاب بالإيجاب ، ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيدانا وركبها ثم عزف بها فضحك كل من كان في المجلس ، ثم فكها وركبها تركيباً آخر وضرب بها فبكى كل من كان في المجلس ، ثم فكها وغيّر تركيبها وضرب بها ضرباً آخر فنام كل من كان في المجلس حتى البواب ، فتركهم نياماً وخرج .

ويدل ما وصل إلينا من مؤلفاته ، وبخاصة كتابه في « إحصاء العلوم » على أنه - بجانب ما ابتكره وما رسخ قدمه فيه - لم يغادر أي فرع آخر من فروع المعرفة السائدة في عصره إلا ألمّ به ووقف على أهم ما ألف فيه وما وصل إليه الباحثون في مسأله .

- ٥ -

مؤلفاته

بلغت مؤلفات الفارابي من الكثرة ما جعل المستشرق الألماني ستينشنسنيذر يخصص لها مجلداً ضخماً Steinschneider ; dans : "Mémoires de l'Académie impériale des Sciences de Saint-Petersbourg", t. XIII (1869).

ولكن لم يصل إلينا من هذه المؤلفات إلا أربعون رسالة ، منها اثنتان وثلاثون رسالة وصلت إلينا في أصلها العربي ، وست رسائل وصلت إلينا مترجمة إلى العبرية ، ورسالتان وصلتا إلينا مترجمتين إلى اللاتينية (انظر بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ١ ، ص ٢١٠ - ٢١٣) .

وله في « إحصاء العلوم » كتاب قيم نشر بالقاهرة للمرة الأولى سنة ١٩٣١ وأعيد طبعه سنة ١٩٤٩ ، وكان موضع إعجاب كثير من قدامى الباحثين ومحدثيهم. ويقول في التعريف به القاضي صاعد في كتابه « طبقات الأئمة » الذي سبقت الإشارة إليه في الفقرة الثانية من هذا الفصل : « كتاب شريف في إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها ، لم يسبقه إليه ولا ذهب أحد مذهبه فيه ، ولا يستغنى طلاب العلوم كلها عن الاهتداء إليه وتقديم النظر فيه » .

وقد قسم الفارابي في هذا الكتاب العلوم ثمان مجموعات درسها في خمسة فصول وعرض لكل مجموعة منها فذكر فروعها وموضوع كل فرع منها وأغراضه ووجوه الانتفاع به ... وما إلى ذلك . إحداها مجموعة علوم اللسان « وهي سبعة أجزاء عظيمة : علم الألفاظ المفردة ؛ وعلم الألفاظ المركبة ، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة ؛ وعلم قوانين الألفاظ عندما تتركب ؛ وعلم قوانين تصحيح الكتابة ؛ وعلم قوانين تصحيح القراءة ، وعلم قوانين الأشعار . وثانيها علم المنطق بجميع فروعها . وثالثها « علم التعاليم » ، وأراد به ما يشمل : « علم العدد ؛ وعلم الهندسة ؛ وعلم المناظر (البصريات) ؛ وعلم النجوم (الفلك) ؛ وعلم الموسيقى ؛ وعلم الأنتقال (الذي ينظر في الأنتقال وفي الآلات التي تستخدم في رفع الأشياء الثقيلة ونقلها من مكان إلى مكان) ؛ وعلم الحيل (أي الميكانيكا التطبيقية) » . ورابعها مجموعة العلوم الطبيعية . وخامسها مجموعة العلوم الإلاهية . وسادسها مجموعة العلوم المدنية (الأخلاق والسياسة) . وسابعها علوم الفقه . وثامنها علم الكلام بفروعه (علم التوحيد وملحقاته) .

ويدل كتابه هذا — كما سبقت الإشارة إلى ذلك — على مدى تمكنه من مختلف فروع المعرفة السائدة في

على : « كتاب المقولات » (قاطيغورياس) ؛ و « كتاب القول الشارح » (القضايا والتعريف) ؛ و « كتاب أنا لوطيقا الأولى والثانية » (تأليف القياس المنطقي) ؛ و « كتاب طويقا » (الجدل) ؛ و « كتاب سفسطيا » (السفسطة) ، و « كتاب ريطوريقا » (الخطابة) ؛ و « كتاب بوطيقا » أي الشعر (والكتب السابقة جميعاً هي مباحث كتاب « الأورغانون » L'Organon لأرسطو ، وهي المباحث التي يتألف منها علم المنطق بمعناه الواسع عند أرسطو) ؛ و « كتاب الأخلاق إلى نيقوماخوس » ؛ و « كتاب العلم الطبيعي » ؛ و « كتاب الآثار العلوية » ؛ و « رسالة النفس والعالم » ؛ و « كتاب في أغراض الحكيم في كل مقالة من الكتاب الموسوم بالحروف » (يقصد كتاب الميتافيزيقا لأرسطو . — وقد طبع كتاب الفارابي هذا في ليدن سنة ١٨٩٠ وفي مصر سنة ١٩٠٧) .

ووصل إلينا من مؤلفاته كتاب يوفق فيه بين آراء أفلاطون وأرسطو وهو « كتاب في الجمع بين رأى الحكيمين أفلاطون والإلهي وأرسطو طاليس » (طبعة ليدن سنة ١٨٩٠ وطبعة القاهرة سنة ١٩٠٧) .

ووصلت إلينا بعض مصنفات له يعلق فيها على غير كتب أرسطو وأفلاطون منها شرحه على « مقالة النفس » للاسكندر الأفروديسي ؛ وتعليقه على كتاب « المحسني » Almageste لبطليموس الفلكي .

ووصل إلينا من مؤلفاته في شئون السياسة والاجتماع — بجانب آراء أهل المدينة الفاضلة « الذي سندرسه في الفصل الثاني من بحثنا هذا — كتاب آخر هو « كتاب السياسات المدنية » (طبعة حيدرآباد سنة ١٣٤٦ هـ) .

ووصل إلينا من مؤلفاته في الموسيقى كتاب « صناعة علم الموسيقى » وهو يعد من أهم المراجع في هذا الفن (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١٢ فنون جميلة) .

التي رواها عن صلة الفارابي بالصاحب بن عباد والتي
أشرنا إليها وإلى أدلة بطلانها في آخر الفقرة الثالثة
من هذا الفصل .

الفصل الثاني

كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة

- ١ -

زمان تأليف الكتاب ومكانه ونشره

لأنعلم شيئاً يقيناً عن تاريخ تأليف الفارابي لهذا
الكتاب ولا عن البلاد التي ألفه فيها ولا عن أوضاعه
الأولى وما أدخله عليه من تنقيح وزيادة فيما بعد .
ومن أشهر ما قيل في هذا الصدد ما ذكره ابن أبي
أصيبعة في كتابه « عيون الأنباء » من أن الفارابي قد
« ابتدأ في بغداد بتأليف كتاب المدينة الفاضلة والمدينة
الجاهلة والمدينة الفاسقة والمدينة المُبدَّلة والمدينة الضالة
(هذه أقسام للمدينة ذكرها الفارابي في فقرة من
فقرات كتابه ، وهي الفقرة التي جعل عنوانها :
« القول في مضادات المدينة الفاضلة ») وحمله إلى الشام
في أواخر سنة ٣٣٠هـ وتممه بدمشق في سنة ٣٣١هـ ،
وحرره ثم نظر في النسخة بعد التحرير فأثبت فيها
الأبواب . ثم سأله بعض الناس أن يجعل له فصولاً
تدل على قسمة معانيه فعمل الفصول بمصر سنة
٣٣٧هـ » .

وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة المستشرق الألماني
ديتريسي في مدينة ليدن سنة ١٨٩٥ . ثم طبع بعد ذلك
عدة طبعات في مصر وبيروت وغيرها . ويقع الكتاب
في إحدى طبعاته المصرية (وهي الطبعة التي ظهرت
في سنة ١٩٠٦) في نحو مائة وخمس وعشرين صفحة
من القطع المتوسط (طبعة مطبعة السعادة لناشرها
مصطفى فهمي ، ظهرت سنة ١٩٠٦) .

عصره ؛ فقد عرض كل فرع من هذه الفروع عرض
الخبير بحقائقه ، الملم بما وصل إليه الباحثون في مختلف
مسائله .

- ٦ -

وفاته

يذكر معظم المؤرخين أن الفارابي قد توفي
بدمشق سنة ٣٣٩ هـ ، وأن سيف الدولة قد صلى عليه
في أربعة عشر أو خمسة عشر من خواصه ، وأنه قد
دفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير . ويدل كلامهم
على أنه قد توفي وفاة طبيعية حتف أنفه .

وقد انفرد البيهقي في كتابه المخطوط المسمى
« تاريخ حكماء الإسلام » والذي سبقت الإشارة إليه
في آخر الفقرة الثالثة من هذا الفصل برواية غريبة
عن وفاته إذ يقول : « وقد سمعت من أستاذي رحمه
الله أن أبا نصر كان يرتحل من دمشق إلى عسقلان ،
فاستقبله جماعة من اللصوص ... فقال لهم أبو نصر
خذوا مامعي من الدواب والأسلحة والثياب وأخلوا
سبيلي . فأبوا ذلك وهموا بقتله . فلما صار أبو نصر
مضطراً ، ترجل وحارب حتى قتل ومن معه .
ووقعت هذه المصيبة في أفئدة أمراء الشام مواقع ؛
فطلبوا اللصوص ، ودفنوا أبا نصر ، وصلبوه على
جذوع النخل عند قبره » . - والراجح أن رواية
البيهقي هذه رواية موضوعة ، وأنها تشبه أن تكون
نقلاً لما رواه المؤرخون عن مقتل أبي الطيب المتنبّي
الشاعر المشهور في أثناء عودته من بلاد فارس إلى
العراق سنة ٣٥٤ هـ ؛ إذ لو كانت حكاية قتله صحيحة
لأشار إليها من ترجموا له ممن كان زمنهم قريباً من زمنه
كالمسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) . هذا إلى
أنه قد جاء في ترجمة البيهقي للفارابي خلط تاريخي
غريب يزعزع الثقة في كل ما ذكره عنه كالقصة

لغة الفارابي في هذا الكتاب

ولغة الفارابي في هذا الكتاب - كلغته في جميع كتبه - لغة معقدة ركيكة تبين بصعوبة عما يقصده . ويرجع السبب في ذلك إلى عوامل كثيرة . منها أن لسانه الأصلي ليس اللسان العربي ، فقد تعلم العربية كما تعلم اللغات الأجنبية الأخرى التي كان يعرفها . ولعل منها كذلك أن معرفته بلغات كثيرة حال بينه وبين تجويد اللغة العربية . ومنها أن فلاسفة المسلمين عامة كانوا يهدفون إلى محاكاة الأساليب الأجنبية التي كانت مراجعهم في الفلسفة ؛ فجاء الإغراب إلى أساليبهم من هذه المحاكاة . ومنها أن بعضهم كان يعتمد الإغراب عمداً حتى يظهر الفلسفة في صورة بعيدة عن تناول العامة من الناس . ومنها كذلك عمق الأفكار الفلسفية نفسها وكثرة مصطلحاتها ؛ فكثيراً ما يودى عمق التفكير وكثرة المصطلحات إلى عمق العبارة ونعومها .

ويزيد الأمر صعوبة أن النسخ المتداولة في العالم العربي من هذا الكتاب مملوءة بالتحريف والأخطاء المطبعية .

موضوع الكتاب

قصد الفارابي من كتابه هذا إلى تكوين مجتمع فاضل (يوتوبيا Utopie) من نوع المجتمعات التي فكر فيها من قبله طائفة من فلاسفة اليونان كجمهورية أفلاطون وبنشاي إفيهمير ومدينة الشمس لجمهوريون . La "République" de Platon ; la "Panchaïe" d'Evhémère ; et la "Cité du Soleil" de Jambule . وقد أراد مثلهم أن ينشئ مدينة وفقاً للمبادئ الرئيسية التي تقوم عليها فلسفته وآراؤه في السعادة والأخلاق والكون وخالفته وما وراء الطبيعة .

أقسام الكتاب

ولذلك قسم كتابه قسمين : قسم بدأ به ونلخص فيه المبادئ الفلسفية التي يدين بها والتي سيراها إلى حلما في إنشاء مدينته ؛ وقسم ختم به كتابه وشرح فيه شؤون هذه المدينة وما ينبغي أن تكون عليه في مختلف فروع حياتها .

ومع أن القسم الثاني هو المقصود بالذات من كتابه ومع أنه في واقع الأمر لا يتوقف توقفاً كبيراً على القسم الأول ، فإنه لم يشغل إلا نحو خمس الكتاب ، بينما شغل القسم الأول نحو ثلاثة أخماسه .

محتويات القسم الفلسفي من الكتاب

يشتمل هذا القسم على خمس وعشرين فقرة . وقد وقف الفارابي تسع فقرات في فاتحته على البحث في الموجود الأول وهو الله تعالى وبيان طائفة من صفاته (« القول في الموجود الأول ؛ القول في نفى الشريك عنه تعالى ؛ القول في نفى الضد عنه ؛ القول في نفى الحد عنه سبحانه ؛ القول في أن وحدته عين ذاته وأنه تعالى عالم وحكيم وأنه حق وحى وحياة ؛ القول في عظمته وجلاله ومجده تعالى ؛ القول في كيفية صدور جميع الموجودات عنه ؛ القول في مراتب الموجودات ؛ القول في الأسماء التي ينبغي أن يسمى بها الأول تعالى مجده ») . ثم وقف بقية فقرات هذا القسم (ست عشرة فقرة) على بيان مراتب الموجودات الروحية والمادية وحالات كل طائفة منها وصلتها بالله تعالى وصلتها ببعضها ببعض وما إلى ذلك (« القول في الموجودات الثواني وكيفية صدور الكثير عن الواحد ؛ القول في الموجودات والأجسام

الكمال ، ولكن لضعف عقولنا نحن ولملامستها المادة والعدم ، يعتاص إدراكه ، ويصعب علينا تصوره ، ونضعف من أن نعقله على ما هو عليه وجوده . فان إفراط كماله يبهرنا فلا نقوى على تصوره على التمام... فكماله بما هو نور يبهر الأبصار فتحار الأبصار عنه .»

ولكنه في آرائه عن الموجودات الثواني ومراتب الموجودات وحالاتها وصلتها بالموجود الأول وصلتها بعضها ببعض وما إلى ذلك (وهي الآراء التي ضمنها الفقرات الست عشرة الأخيرة من هذا القسم) قد تأثرت تأثراً كبيراً بالأفلاطونية الحديثة بوجه خاص (Philosophie néo-platonicienne) مذهب مدرسة الإسكندرية التي كان زعيمها أفلوطين Plotin ولد سنة ٢٠٥ وتوفي سنة ٢٧٠ م) ، وذهب إلى ما ذهب إليه من وجود عقول وأرواح تنبثق عن الله وتشرق على الموجودات . بل إنه لم يكتف بما اخترعته الأفلاطونية الحديثة من عقول وأرواح ، بل أضافها عقولاً ونفوساً وأفلاكاً ، حتى لتحسب أن صاحب هذه الآراء شخص آخر غير صاحب الآراء المدونة في الفقرات التسع الأولى من هذا القسم من مؤلفه في صدد الله تعالى وصفاته وكماله .

فهو يذهب إلى أن الموجودات تنقسم قسمين : موجودات روحية ؛ وموجودات مادية .

١ - أما الموجودات الروحية فيرتب طوائفها من الأعلى إلى الأقل منه ترتيباً تنازلياً في ست مراتب . إحداها مرتبة الكائن الأول أو السبب الأول وهو الله تعالى . وثانيها مرتبة العقول التسعة المحركة للأجرام السماوية وهي : العقل الأول المحرك للسماء الأولى ؛ والعقل الثاني المحرك لكرة الكواكب الثابتة ؛ والعقل الثالث المحرك لكرة زحل ؛ والعقل الرابع المحرك لكرة المشتري ؛ والعقل الخامس المحرك للمريخ ؛ والعقل السادس المحرك للشمس ؛ والعقل السابع المحرك

التي لدينا ؛ القول في المادة والصورة ؛ القول في المقاسمة بين المراتب والأجسام الهولانية والموجودات الإلهية ؛ القول فيما تشترك الأجسام السماوية فيه ؛ القول فيما فيه وإليه تتحرك الأجسام السماوية وإلى أى شئ تتحرك ؛ القول في الأحوال التي توجد بها الحركات الدورية وفي الطبيعة المشتركة لها ؛ القول في الأسباب التي عنها تحدث الصورة الأولى والمادة الأولى ؛ القول في مراتب الأجسام الهولانية في الحدوث ؛ القول في تعاقب الصور على الهولي ؛ القول في أجزاء النفس الإنسانية وقواها ؛ القول كيف تصير هذه القوى والأجزاء نفسها واحدة ؛ القول في القوة الناطقة كيف تعقل وما سبب ذلك ؛ القول في الفرق بين الإرادة والاختيار وفي السعادة ؛ القول في سبب المنامات ؛ القول في الوحي وروية المملك () .

وآراؤه في الموجود الأول وهو الله تعالى (وهي الآراء التي ضمنها الفقرات التسع الأولى من هذا القسم) تتفق كل الاتفاق مع مبادئ الإسلام وما يقرره في صدد الذات العلية وصفاتها ، وتم على قوة إيمان الفارابي وسلامة عقيدته وصفائها وتجردها من شوائب الزيف والانحراف . فهو يقرر في عبارات مشرقة رائعة أن الله تعالى « لا يمكن أن يشوب وجوده وجوهره عدم أصلاً ... فلذا هو أزلي دائم الوجود بجوهره وذاته ، من غير أن يكون به حاجة في أن يكون أزلياً إلى شئ آخر يمد بقاءه ، بل هو بجوهره كاف في بقاءه ودوام وجوده ... وهو الموجود الذي لا يمكن أن يكون له سبب به أو عنه أو له كان وجوده ، فانه ليس بمادة ولا قوامه في مادة ولا في موضوع أصلاً ، بل وجوده خلو من كل مادة ومن كل موضوع . ولا أيضاً له صورة ، لأن الصورة لا يمكن أن تكون إلا في مادة ... وهو مبين بجوهره لكل ما سواه ، ولا يمكن أن يكون الوجود الذي له لشيء آخر سواه ... وهو في نهاية

الثابتة) . وبما يعقله من الأول يلزم عنه وجود رابع . وهذا أيضاً وجوده لا في مادة . فهو يعقل ذاته ويعقل الأول . فيما يتجوهر به من ذاته التي تخصه يلزم عنه وجود كرة زحل (أى إن هذا الموجود الرابع هو العقل المنبثق عن الله والمشرف على كرة زحل ...) . واستمر الفارابي بهذا التسلسل وفي هذه الصيغ نفسها إلى أن انتهى من العقول العشرة السابق بيّنها :

٢- وأما الموجودات المادية فيرتب الفارابي طوائفها من الأعلى إلى الأخص ترتيباً تنازلياً في ست مراتب كذلك . إحداهما أجسام الآدميين ؛ والثانية أجسام الحيوانات الأخرى ؛ والثالثة أجسام النباتات ؛ والرابعة أجسام المعادن ؛ والخامسة الأجرام السماوية ؛ والسادسة المواد الأولية المشتركة وهي الماء والهواء والتراب والنار وما جانسها كالبخار واللهب . فأجسام الآدميين والحيوانات والنباتات من بين مراتب الأشياء المادية هي أرقاها جميعاً وأقربها إلى السبب الأول وهو الله تعالى . ودونها في ذلك الأجسام السماوية . وأبعدها جميعاً مرتبة عن السبب الأول الأجسام الهولانية أى المواد الأولية التي تشترك فيها الموجودات المادية وهي الماء والهواء والتراب والنار وما تولد منها . وفي هذا يقول : « إن البرية (يقصد بها أجسام الأناسي والحيوان والنبات ، أى الأجسام الحية) من المادة تقرب من الأول (أى من السبب الأول وهو الله تعالى ، أى إنها أقرب الأشياء المادية إليه) ؛ ودونها الأجسام السماوية ؛ ودون السماوية الأجسام الهولانية . وكل هذه تحتذى حذو السبب الأول وتؤمّه وتقتفيه . إلا أنها تقتفى الغرض بمراتب . وذلك أن الأخص يقتفى غرض ما هو فوقه قليلاً ، وذلك يقتفى غرض ما هو فوقه ، وأيضاً كذلك للثالث غرض ما هو فوقه ، إلى أن تنتهى إلى التي ليس بينها وبين الأول واسطة أصلاً ... » .

للزهرة ؛ والعقل الثامن المحرك لعطارد ؛ والعقل التاسع المحرك للقمر . والمرتبة الثالثة مرتبة العقل الفعال في الإنسانية . والمرتبة الرابعة مرتبة النفس الإنسانية . والمرتبان الخامسة والسادسة مرتبتا الهوى والصورة . والهوى هو المبدأ الأول الذي به تشترك الأجسام في كونها أجساماً . والصورة هي المبدأ الذي يعين الهوى ويعطيها ماهية خاصة .

هذا ، والمراتب الثلاث الأولى وهي مراتب الله تعالى والعقول العشرة هي في نظر الفارابي مراتب روحية محضة ، أى لاصلة لها بالمادة مطلقاً ؛ على حين أن المراتب الثلاث الأخيرة ، وهي مرتبة النفس الإنسانية ومرتبة الهوى ومرتبة الصورة ، لها صلة بالأجسام وإن كانت في ذاتها أموراً روحية غير جرمية . والعقول في نظر الفارابي تنبثق عن الله تعالى مباشرة كما ينبثق الضوء عن الشمس وتفعل أفعالها وفق غرضه بدون واسطة . فهي في المرتبة الثانية بعده ، وأفعالها أشرف أفعال الكائنات الأخرى جميعاً . وأما النفس الإنسانية والهوى والصورة فإنها تتصل بالله بواسطة العقول ، فترتبتها تحيء بعد مرتبة العقول .

ويعبر الفارابي في كتابه هذا عن نظريته في العقول في عبارات مهمة غامضة إذ يقول : « ويفيض من الأول (أى من الله تعالى) وجود الثاني، فهذا الثاني هو أيضاً جوهر غير متجسم أصلاً ولا هو في مادة ، فهو يعقل ذاته ويعقل الأول ... وبما هو متجوهر بذاته التي تخصه يلزم عنه وجود السماء الأولى (أى إن هذا الموجود الثاني هو العقل المنبثق عن الله والمشرف على السماء الأولى) . والثالث أيضاً وجوده لا في مادة ، وهو بجوهره عقل ، وهو يعقل ذاته ويعقل الأول . فيما يتجوهر به من ذاته التي تخصه يلزم عنه وجود كرة الكواكب الثابتة (أى إن هذا الموجود الثالث هو العقل المنبثق عن الله والمشرف على كرة الكواكب

محتويات القسم الاجتماعي من الكتاب

وضع الفارابي في هذا القسم ما يصح تسميته « تصميماً » لمدينته الفاضلة . وقد جاء تصميمه هذا مشبهاً في معظم نواحيه لتصميم أفلاطون لجمهوريةه مع بعض فروق يسيرة تأثر فيها فيلسوفنا بمبادئ الدين الإسلامي على الأخص .

ويشتمل هذا القسم على اثنتي عشرة فقرة أعطاها العناوين الآتية : « القول في احتياج الإنسان إلى الاجتماع والتعاون ؛ القول في العضو الرئيس ؛ القول في خصال رئيس المدينة الفاضلة ؛ القول في مضادات المدينة الفاضلة ؛ القول في اتصال النفوس بعضها ببعض ؛ القول في الصناعات والسعادات ؛ القول في أهل هذه المدن ؛ القول في الأشياء المشتركة لأهل المدينة الفاضلة ؛ القول في آراء أهل المدن الجاهلة والضالة ؛ القول في العدل ؛ القول في الخشوع ؛ القول في المدن الجاهلة » .

وقد بدأ قسمه هذا بالكلام على احتياج الإنسان إلى الاجتماع والتعاون ، فقرر أن الإنسان إجتماعي بطبعه من جهة ومضطرب إلى هذا الاجتماع اضطراراً لسد حاجاته من جهة أخرى ، وأنه من أجل ذلك نشأت الجماعات الإنسانية . وفي هذا يقول : « وكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج في قوامه وفي أن يبلغ أفضل كمالاته إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها هو وحده ، بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه . وكل واحد من كل واحد بهذه الحال . . . ولهذا كثرت أشخاص الناس فحصلوا في المعمورة من الأرض ، فحدثت منها الاجتماعات الإنسانية » .

وهذه المجتمعات ترجع في نظره إلى قسمين : مجتمعات كاملة وهي ما يتحقق فيها التعاون الاجتماعي

بوجه كامل لتحقيق سعادة الأفراد ؛ ومجتمعات ناقصة وهي ما لا يتحقق فيها هذا التعاون الكامل ولا تستطيع أن تكفي نفسها بنفسها .

والمجتمعات الكاملة ثلاث مراتب . فأرقاها مرتبة إجماع العالم كله في دولة واحدة وتحت سيطرة حكومة واحدة . وأقل منها كمالاً اجتماع أمة في جزء من المعمورة تحت سيطرة حكومة مستقلة . وأقلها جميعاً في الكمال اجتماع أهل مدينة في جزء من الأمة تحت سلطة رئيس .

والمجتمعات الناقصة ثلاث مراتب كذلك . فأقلها نقصاً وأدناها إلى المجتمعات الكاملة اجتماع أهل القرية واجتماع أهل المحلة (والمحلة جزء من المدينة) . وأكثر منها نقصاً اجتماع أهل السكّة (وهي جزء من المحلة) . وأحظها جميعاً منزلة اجتماع أفراد أسرة في منزل .

فمن هذه المجتمعات يتكون سلم متدرج : في قمته العالم الإنساني مندجج شعوبه بعضها في بعض ومكونة لدولة واحدة ؛ وفي أدنى درجة منه المجتمع العائلي :

وفي هذا يقول « ... فمنها الكاملة ومنها غير الكاملة . والكاملة ثلاث : عظمى ووسطى وصغرى . فالعظمى اجتماعات الجماعة كلها في المعمورة . والوسطى اجتماع أمة في جزء من المعمورة . والصغرى اجتماع أهل مدينة في جزء من مسكن أمة . وغير الكاملة : اجتماع أهل القرية واجتماع أهل المحلة ؛ ثم اجتماع في سكّة ؛ ثم اجتماع في منزل . وأصغرها المنزل . والمحلة والقرية هما جميعاً لأهل المدينة : إلا أن القرية للمدينة على أنها خادمة للمدينة ؛ والمحلة للمدينة على أنها جزؤها . والسكّة جزء المحلة . والمنزل جزء السكّة . والمدينة جزء مسكن أمة . والأمة جزء جملة أهل المعمورة » .

الفارابي هي وظيفة الرياسة . وذلك لأن رئيس المدينة هو السلطة العليا التي تستمد منها جميع السلطات ، وهو المثل الأعلى الذي ينظم جميع الكمالات . فهو مصدر حياة مدينته وقوام نظامها . ومنزلته من سائر أفرادها كالقلب من أعضاء الجسم ؛ بل إن منزلته منهم كمنزلة الله عز وجل من العقول وسائر الموجودات .

ولذلك لا يصلح للرياسة إلا من زود بصفة فطرية ومكانة يتمثل فيها أقصى ما يمكن أن يصل إليه الكمال في الجسم والعقل والعلم والخلق والدين . أما الصفات الفطرية فقد اشترط الفارابي أن يتوافر منها في رئيس المدينة اثنتا عشرة صفة . « إحداهما أن يكون تام الأعضاء ، قواها مواتية أعضاءها على الأعمال التي من شأنها أن تكون بها (أى أن تكون قوى الأعضاء مواتية لها على الأعمال التي خلقت لها والتي هي قوامها) ... ثم أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له ويتلقاه ، يفهمه على ما يقصده القائل وعلى حسب الأمر في نفسه . ثم أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه في الجملة ، فلا يكاد ينساه . ثم أن يكون جيد الفطنة ذكياً إذا رأى الشيء بأدنى دليل فطن له على الجهة التي دل عليها الدليل . ثم أن يكون حسن العبارة يواتيه لسانه على إبانة كل كل ما يضمرة إبانة تامة . ثم أن يكون محباً للعلم والاستفادة منقاداً له سهل القبول لا يؤمله تعب العلم ولا يؤذيه الكد الذي يناله منه . ثم أن يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح متجنباً بالطبع للعب (يقصد به اللهو وضياح الوقت فيما لا يجدى) مبغضاً للذات الكائنة عن هذه (أى أن يكون مبغضاً لما ينجم عن الأمور السابقة من لذات) . ثم أن يكون محباً للصدق وأهله مبغضاً للكذب

ويلاحظ أن الاجتماع الأول الذي ذكره الفارابي وجعله أكمل المجتمعات الكاملة جميعاً لم يذكره أحد من قبله من فلاسفة اليونان الذين اغترف من فلسفتهم كأفلاطون وأرسطو . فهو لاء لم يفكروا إلا فيما كان يقع تحت مشاهدتهم وهو الدويلات الصغيرة التي تتألف كل دولة منها من مدينة وتوابعها أو من بعض مدن وتوابعها . ولعل ذلك يرجع إلى تأثير الفارابي بتعاليم دينه ؛ إذ إن الإسلام يهدف إلى إخضاع العالم كله لحكومة واحدة هي حكومة الخليفة .

وقد أغفل الفارابي النوعين الأولين من المجتمعات الكاملة وهي اجتماع العالم واجتماع الأمة ، وقصر كلامه على اجتماع المدينة وما يجب توافره في مجتمعها حتى تكون فاضلة سعيدة . ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أمرين . أحدهما أنه رأى أن اجتماع العالم كله على الصورة التي ذكرها هو اجتماع مثالي ولكنه متعذر التحقق . والآخر أن المدينة هي الخلية الأولى للمجتمعات الكاملة ، فبصلاحها تصلح هذه المجتمعات وبفسادها يفتورها الفساد ؛ فالكلام على الأمور التي يجب توافرها فيها حتى تكون كاملة - وهو الذي عرض له الفارابي - يعد شرحاً لدعائم الفضل في سائر المجتمعات الإنسانية الكاملة .

والمدينة الفاضلة في نظره هي ما تتحقق فيها سعادة الأفراد على أكمل وجه . ولا يكون ذلك إلا إذا تعاون أفرادها على الأمور التي تنال بها السعادة ، واختص كل منهم بالعمل الذي يحسنه وبالوظيفة المهيأ لها بطبعه . وفي هذا يقول : « فالمدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال بها السعادة في الحقيقة هي المدينة الفاضلة والمدينة الفاضلة تشبه البدن الصحيح الذي تتعاون أعضاؤه كلها على تتميم حياة الحيوان وعلى حفظها عليه . » وأهم وظائف المدينة وأكبرها خطراً في نظر

هذه الصفات جميعاً في شخص واحد . وفي ذلك يقول « واجتماع هذه كلها في إنسان عسر . فلذلك لا يوجد من فطر على هذه الفطرة إلا الواحد بعد الواحد والأقل من الناس » . ومع ذلك فإنه قد أضاف إليها صفة أخرى زادت الأمور استحالة وتعذراً . وقد تأثر في هذه الصفة - التي لم يرد لمثلها ذكر في الصفات التي اشترطها أفلاطون في رئيس جمهوريته - ببعض الاتجاهات الأفلاطونية الحديثة وبعض نزعات صوفية إسلامية وبما يقرره الدين الإسلامي عن صفات الرسول وصلته بالله عن طريق الوحي . وهذه الصفة هي اتحاد الرئيس بالعقل الفعال ، وهو العقل المشرف على الإنسانية (آخر العقول العشرة السابق بيانها في الفقرة الخامسة من هذا النصل) الذي ينبعث عن الله تعالى مباشرة كما ينبعث الضوء عن الشمس . فيستحيل الرئيس بذلك إلى كائن روحي يمزج بالعقول ويتصل بالملأ الأعلى ويتلقى عن هذا الملأ بطريق مباشر نفحات الوحي والإشراق . وفي ذلك يقول : « وإنما يكون ذلك الإنسان إنساناً قد استكتمل فصار عقلاً ومعقولاً بالفعل . قد استكتملت قوته المتخيلة بالطبع غاية الكمال على ذلك الوجه الذي قلنا . وتكون هذه القوة معدة بالطبع لتقبل ، إما في وقت اليقظة أو في وقت النوم ، عن العقل الفعال الجزئيات إما بنفسها وإما بما يحاكيها ، ثم المعقولات بما يحاكيها ... ولا يكون بينه وبين العقل الفعال شيء آخر » .

ويرى الفارابي أن أفراد المدينة أنفسهم لا تتحقق سعادتهم ولا تصبح مدينتهم فاضلة إلا إذا ساروا على غرار رئيسهم وأصبحوا صورة منه ، وأن الرئيس لا يعد مؤدياً رسالته إلا إذا وصل بهم إلى هذا المستوى الرفيع . وفي هذا يقول : « وكذلك ينبغي أن تكون المدينة الفاضلة : فإن أجزاءها كلها (أى أهلها وأفرادها) ينبغي أن تحتذى بأفعالها مقصد رئيسها الأول » .

وأهله . ثم أن يكون كبير النفس محباً للكرامة ، تكبر نفسه بالطبع عن كل ما يشين من الأمور وتسمو نفسه بالطبع إلى الأرفع منها . ثم أن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده . ثم أن يكون بالطبع محباً للعدل وأهله ومبغضاً للجور والظلم وأهلها يعطى النصف (أى يعامل بالعدل والقسط) من أهله ومن غيره ويحث عليه ويؤتي من حلّ به جور (أى يرد له حقه وما أخذ منه) موافقاً لكل ما يراه حسناً جميلاً (أى من الأمور المتصلة بالعدالة) . ويكون عدلاً (أى وسطاً في أخلاقه وشئونه ، فلا إفراط ولا تفريط) غير صعب القياد ولا جموحاً ولا لجوجاً إذا دعى إلى العدل ، بل صعب القياد إذا دعى إلى الجور وإلى القبيح . ثم أن يكون قوى العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل ، جسوراً عليه ، مقداماً غير خائف ولا ضعيف النفس » .

وأما الصفات المكتسبة فقد اشترط الفارابي أن يتوافر منها في رئيس المدينة ست صفات . « أحدها يكون حكماً . والثاني أن يكون عالماً حافظاً للشرائع والسنن والسير التي دبرها الأولون للمدينة محتدياً بأفعاله كلها حذو تلك بتمامها . والثالث أن يكون له جودة استنباط فيما لا يحفظ عن السلف فيه شريعة ، ويكون فيما يستنبطه في ذلك محتدياً حذو الأئمة الأولين . والرابع أن يكون له جودة رؤية وقوة استنباط لما سبيله أن يعرف في وقت من الأوقات الحاضرة من الأمور والحوادث التي تحدث مما ليس سبيلها أن يسير فيه الأولون ، ويكون متحرياً بما يستنبطه من ذلك صلاح حال المدينة . والخامس أن يكون له جودة إرشاد بالقول إلى شرائع الأولين وإلى التي استنبطت بعدهم مما احتدى فيه جنودهم . والسادس أن يكون له جودة ثبات ببدنه في مباشرة أعمال الحرب ؛ وذلك أن يكون معه الصناعات الحربية الخادمة والرئيسة » .

وقد اعترف الفارابي أنه من النادر أن تتوافر

الممكن أن يوجد لها رئيس ؛ إذ من الممكن في نظره أن يصل الإنسان إلى مستوى الامتزاج بالعقل الفعال ، وإن كان ذلك نادراً ومقصوراً على أفراد زكت أنفسهم ووصلت أرواحهم إلى أرقى درجات الصفاء : ويساعد الفرد على الوصول إلى هذه المنزلة - بجانب ما يزوده الله به من استعداد فطري - عكوفه على التأمل والتفكير . فبذلك تهذب نفسه ، وتلخص من أدراك المادة والجسم ، ويرقى إلى عالم العقول ، فيمتزج بها ويغمره نورها الوهاج ، فيكمل بذلك صفاؤه .

ومن هذا يظهر أن المدينة الفاضلة التي أقام الفارابي قواعدها في كتابه هي مدينة يرأسها إنسان لا تقل منزلته كثيراً عن منزلة الأنبياء والملائكة . ويتألف أفرادها من قديسين . ومدينة كهذه لا يتاح وجود مثلها في عالمنا الدنيوي .

بيد أنه يظهر أن الفارابي لا ينظر إلى مدينته ولا ينظر إلى رئيسها نظرتة إلى أمور غير ممكنة التحقق ، بل يرى أنه من الممكن أن تتحقق هذه المدينة ومن

